

## ﴿ باب الانتقاد على المنار ﴾

« في بحث اختلاف الامة »

جاء في مجلة دين ومعيشت الاسلاميه التي تصدر في البلاد الروسيه ما ترجمته  
 كنا ترجمنا في العدد ٢٧ من المجلة مقاله من مجلة المنار في حديث « اختلاف امي رحمة »  
 ووعدنا ببيان كون بعض الكلمات منها لا يطمنن به خاطر فأنجازاً لوعدين فكرنا  
 في المسئلة : تقول المنار في آخر المقالة « ولكن لما جاء دور التقليد والتشيع والتعصب  
 للمذاهب حلت النقمة ، وفرقت الكلمه ، وذهب الرج والشوكة ، الى ان وصلنا الى  
 هذه الدرجه من الضعف : ذهب ملكنا وصارت الملكة الكبيرة من مالكنا  
 تقع في قبضة الاجانب » يريد بقوله هذا اسناد السبب في ضعف الاسلام وكون أهله  
 متفرقين شذر مذر الى انقسامهم الى مذهبي السنة والشيعة والمذاهب الاربعه المشهوره  
 بسبب اختلاف الأئمة في الاحكام ، والى ان كل فرقة من اتباع الأئمة الاربعه تقلد  
 امامها . بذلك يسند الغيب اليهم . هذا الفكر خطأ من المنار على ما نظن ، والسبب  
 في ضعف العالم الاسلامي وصيرورتنا الى تلك الحال هو كون المسلمين مفلوطين امام  
 خصلتين من اقبح الحاصل في الشريعة الاسلاميه واتصافهم بهما . الاولى منهما الجاهلية  
 الجاهلية أعني بها الاهتمام بالقومية والجنسية العربية والتركية والفارسية والهندية  
 والتتارية والجر كسية وأمثالها وتقديم كل قوم وملة حفظ قوميتهم ومليتهم على حفظ  
 الوحدة الاسلاميه ، والقرآن يقول ( ٣ : ١٠٣ ) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا  
 واذكروا نعمه الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا  
 وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آية لعلكم تتدون )  
 ( وهنا فسر معنى الآية بالتتارية ثم قال ) معلوم عند كل من يطالع على كتب  
 التفاسير والتواريخ ان العرب قبل مجيء الاسلام كانت قبائل وطوائف كل واحدة  
 منها عدوة للاخرى تعيش بالقتل والنهب « وببارة أخرى . كانوا يمضون الاوقات  
 بالقتل والنهب » وبعد مجيء الاسلام تركوا المداوة فيما بينهم وأتحدوا وتآخوا  
 حتى اضطربت أطراف الارض بقوتهم وشوكتهم ، واذا أسلم اناس من اي ملة كانوا  
 عدوهم العرب اخوانا لهم ، وكذلك الذين أسلموا . بسبب هذا الأتحاد والتآخي لم  
 يبق بين المسلمين نزعة للمصيبة العربية ولا الرومية ولا الفارسية ولا غيرها من القوميات

والجنسيات وماش المسلمون كلهم كما يعيش الاخوان مع أخوتهم .  
الزمان لا يدوم على حال واحدة بل لا بد من التقلب من حال الى حال فالفرس  
الذين ذهب الدولة من أيديهم بشوكة الاسلام كانوا مسلمين كسائر الناس ولكن  
البعض منهم لا سيما الذين لم تذهب لذة الامارة من أفواههم لم يهضموا في قلوبهم  
رياسة العرب الذين كانوا قبل الاسلام غير معدودين من البشر على اعتقادهم . فارادوا  
إلغاء الفتن بين المسلمين ومن ورائه حفظ قوميتهم ومنصب الرئاسة في ملتهم بأي  
طريق كان . هكذا أخذوا يسلمون بالحمية الجاهلية .

لوصول الى تلك الاماني اتقوا الفتنة أولا بين العرب واخذوا يفضلون طائفة منهم  
ويستخفون بالآخرين . فبهذه السكينة حملوا العرب أنفسهم على زرع بذور التفرقة  
بينهم المتنوعة بالآيات القرآنية المأر ذكرها . والايهام بحسن أعمالهم ومشروعيتها  
اظهروها في روح الذين . دعوا الناس الى لمن الخلفاء الاولين وتكفيرهم لأنهم غصبوا  
الخلافة من علي كرم الله وجهه وكانت من حقه .

وهذه الاعمال منهم انما يريدون بها سترة حميتهم الجاهلية وابداءها في صورة حسنة  
كشيء مشروع في أعين الناس واصل الخلاف ليس هناك . هم في الحقيقة لا يرون  
كون الخلافة في علي كما لا يرون كونها في ابي بكر أو عمر ، بل تلك الاعمال منهم  
كما قلنا إلغاء للفتنة بين العرب والأمل باختطاف شيء من الرياسة لهم اثناء الفتن .  
بناء على ذلك ما كان ذلك الاختلاف بعد مجيء دور التشيع كما قال صاحب المنار بل  
كان موجودا قبل التشيع ولكن ظهر في الميدان صباغ التشيع لتقوية ذلك  
الاختلاف فقط .

أما تقليد الأئمة الاربعة فليس له أدنى مناسبة لذلك الاختلاف . والدليل على ذلك  
انه لم يوجد في وقت من الاوقات فتن تتحرر الى الحرب بسبب الاختلاف في الحنفية  
والشافعية أو المالكية والحنبلية . لا ترى حربا من الحروب الاسلامية إلا ومجد سببها  
الأول ترجيح القومية والمللية ، على الوحدة الاسلامية ، وجعل محلها في الاهمية  
فوق محل الوحدة الاسلامية ، واذا قلنا بلسان العرب فهو الحمية الجاهلية ، والاوثان  
ذلك يكفي النظر في حال تركيا الآن : فتنة في اليمن ، وعصيان في الدروز ، وشق  
عصا الطاعة في الألبان ، كل تلك الاضطرابات ليس سببها الاختلاف في كون بعضهم  
مسلما او غير مسلم ، أو في كون بعضهم شافعية او حنفية . بل السبب في الشكل تلك  
القومية والمللية .

كنا ذكرنا في أول المقالة خصتين وذلنا انهما السبب في وصول السلام الاسلامي الى تلك الدرجة من الضعف . الحصلة الأولى قد بناها ، وأما الثانية فهي حب الرياسة . كون تلك الحصلة من الاخلاق الذميمة في الشريعة الاسلامية مبين بالتفصيل في كتب الاخلاق فلا حاجة هنا الى البيان من تلك الجهة . كل قوم يريدون رياسة قومهم على الآخرين دون غيرهم ولا يتجنب في ذلك أي عمل يمكن بحبه من يديه . وكذلك كل فرد من افراد القوم يريد أن يترأس في قومه دون غيره وهذه الحصلة شائمة جدا بين الجبله ولا سيما بين غير المدنيين في ديار الفزاق والباشقرط ، فهم يجتهدون في نيل منصب بواص وأسترشينه « كلاهما منصب حاكم في درجة واحدة » حتى ينجح الامر في بعض الاوقات الى الجلباية كل ذلك أمام الصيون . شيوع حب الرياسة بين افراد قوم لا شك في كونه يجلب اضرار جسيمة على القوم وذلك حقيقة ثابتة بخبار عديدة . نيل شخص غير منتظر الظهور في الميدان على منصب الرياسة وقت نخاص اثنين فيها يصادف كثيرا جدا ولا يكون نحب المتخصصين فيها الاإضاعة الوقت وصرف القوى . كذلك الدولة المتشكلة من الاقوام الكثرين إذا شاع في ابناءها حب الرياسة او تطاول كل قوم الى اتخاذ رئيس فيما بينهم فلاشك في سرعان الضعف الى تلك الدولة من جميع أطرافها ، وتلك حقيقة ثابتة بخبار عديدة وممروف اسكل من يطالع كتب التواريخ . ولا حاجة الى مراجعة كثير من الكتب ليعرف ، بل يكفي قائل من التفكر في اسباب دخول ملك الهند المتشكلة من الأ قوام العديدة مقدارهم ثلاثمائة مليون او زيادة في قبضة الانكلز وعددهم ثلاثون مليوناً فقط . الاقوام والقبائل في الهند كانوا لا يتحلمون رياسة الاقوام الآخرين من حيرانهم وكانت الحروب الدموية لا تنقطع فيما بينهم في نصب رئيس من انفسهم دون الاقوام الاخرين . ففي ذلك الوقت جاءهم الانكلز وقالت لهم « اتركوا الحرب فيما بينكم ولا تقاتلوا من غير جدوي ، كلكم لا تصادحون للرياسة أبدا ، ولنحرب نحن أمر الرياسة عليكم » حتى أخذوا جميع الهند في ايديهم الصغيرة من غير مشقة او بمشقة قليلة ، وصاروا رؤساء عليها يحكمون . فالسبب في استسلام هؤلاء الاقوام الذين لا يعد عددهم ولا يخصى الى الانكلز وهم عدة ملايين ليس اختلافهم في الحنقية والشافعية

او النسبية او الشعبية . بل السبب من غير شك خصلة حب الرياسة المذمومة المزوجة  
بالاختلاف في القومية والملية .

نظن ان صاحب المنار المحترم لاشك يعرف اكثر مناسب دخول الانكليز مصر التي  
ولد فيها وترى في قبضة الانكليز ، السبب في ذلك من غير شك ليس اختلافهم في  
الحنفية أو الشافعية لان المصريين كلهم شافعيو المذهب الا القليل اليسير ، بل السبب  
فيها أيضاً تلك الخصلة الذميمة خصلة حب الرياسة . وبعد ذلك لاحاجة بنا الى قراءة  
تواريخ تونس أو الاندلس . فحسبنا ما عرفت . كيف تقول كلام رشيد رضا القندي  
المحترم حيث يقول : السبب في دخول ممالك الاسلام في يد الاجانب التقليد والتشيع .  
والحال ان تلك الاسباب المار ذكرها في الميدان أمام كل الناس . لذلك قلنا ان هذا  
الفكر خطأ من المنار ، وما قلنا ذلك الا تأديبا والا ما يعوزنا الكلام لقابلية تلك الكلمات  
من المنار ، لان المذاهب الاربعة قد توورت «أو توقلت» عن الاولين الى الآخرين  
منذ عشر قرون أو اكثر قرناً بعد قرن ، وما قال أحد في قرن من القرون لاسباب  
العلماء بدم لزوم تلك المذاهب بل عدوها عين الرحمة كما يقول الحديث اهـ

### ﴿ رد المنار ﴾

المسائل الاجتماعية والسياسية التي يبحث فيها عن أحوال الامم وطبائنها واسباب  
ترقيها وتدهورها وحياتها وموتها هي أعلى وارقى وأعوص مسائل العلوم البشرية كلها ،  
ولا سيما اذا كان فهمها يتوقف على معرفة الباحث دين الامة التي يبحث عن أحوالها  
وفقه أصوله والاستقاء من ينبوعه الأول كالامة الاسلامية  
والمناظرة في هذه المسائل أصعب من المناظرة في سائر العلوم والفنون لأسباب منها  
أن كل أحد يظن انه يعرف حقها وباطلها وقل من يعرف ذلك ، ومنها ان تحرير محل  
الزجاج عسير ولا سيما بالكتابة في لغتين او لغة واحدة يتفاوت المتناظران في فهمها ،  
فلهذا وذلك ترى أن مناظرة رصيفتنا القراء (مجلة دين ومعيشة) لنا في هذه المسألة  
من المشكلات ، لان ما يترجمه لنا عنها أهل لسانها من التار الذين يطلبون العلم عندنا  
يدلنا على أن محرريها لا يفهمون كلامنا حتى الفهم ، بل تراها تخطيء فيه خطأ تصد لنا  
به مالم يخطر لنا على بال ، وقد كتبت هي أيضا في عبارة ترجمت لنا عنها ان الترجمة  
كانت خطأ . وههنا تقول اتنا جمعنا التقليد والتشيع هو سبب استيلاء الاجانب  
على بلاد الاسلام ، ويظهر انها فهمت أنه هو السبب المباشر لهذا المسبب ، وقد اخطأت

في هذا التهم كما اخطأت في جزمها بآثام ولدنا في مصر وترينا في قبضة الانكاز وفي قولنا ان نصر وقت في قبضة الانكاز بسبب حب الرياسة . ومع هذا كله لا بد أن نكتب في هذه المسألة المهمة ( اسباب اختلاف المسلمين وضعفهم واستيلاء الاجانب عليهم ) ما روي قائدته في التفاهم بيننا وفي إغناظ امتنا من نومها ، او تبخيرها من غفاتها عن نفسها ، فنقول ( ١ ) ان الضعفا الذي كان سبب استيلاء الاجانب علينا اسبابا كثيرة من اطلال النظر في بعضها دون بعض يمكنه ان يطيل القول في جملة هو السبب دون غيره فيكون خطأ في الحصر فقط ، ويكون هذا الخطأ فاحشا اذا كان السبب المحصور فيه من الاسباب الفرعية غير الرئيسية ، كحب الرياسة الذي عدته رفيقنا وكننا واحلا في ضعفنا وذهاب ملكتنا ، وهو خلق عام في البشر فلو كان مقتضيا للضعف بذاته لما وجدت دولة قوية ، واتانا نذكر من الاسباب التي يمكن للمرء ان يطيل في بيان كونها المفضلة للامة خلق الحمد الذي يفرى محبي الرياسة بالبغي على من يسبقهم الى ما نصبوا اليه نفوسهم او يرونها أحق به ممن ناله دوتهم ، فالذي يظهر لنا ان عليا كرم الله وجهه كان يرى انه أحق الناس بإمامة هذه الامة بمدنيها (ص) ولكنه لم يبع علي من سبقه الى ذلك كما بغي عليه معاوية ، ولا خلاف في كون خروج معاوية على امير المؤمنين هو الصدمة الاولى التي احابت الاسلام فكانت علة اللعل لكل ما جاء بعدها من اسباب الضعف ، فلك ان تقول ان ذلك البغي علة الحمد لان من لا يحسد صاحب النعمة لا يبغى عليه ولذلك ورد في الحديث « واذا حسدت فلا تبغ » رواه ابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة بسند ضعيف ورسته عن الحسن مرسل . والحسد كما يقع بين الافراد يقع بين الامم واهل الملل كما ورد في تفسير « ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » الآية انها نزلت في حسد اليهود للعرب ان بعث نبي آخر الزمان منهم ، وعلى هذا يمكنك ان تقول ان الحروب التي وقعت بين الشعوب الاسلامية كان سببها الحسد

( ومنها ) - أي اسباب ضعف المسلمين عدم وضع نظام سياسي للخلافة وشكل الحكومة تكفله الامة وهذا ما يرجحه اكثر الباحثين في السياسة اليوم ( ومنها ) انهم لم يوقفوا الى تأليف جند دائم بنظام يكفل طاعته لأولي الامر كالنظام المعروف اليوم

( ومنها ) وهو أعما الجهل بعم الاجتباع والسياسة والفنون التي عليها مدار القوة وهو الذي ازال ممالكنا في هذا القرن وما قبله لا التمسب الجنسي ولا حب الرياسة ،

وسبب هذا الجهل جهودنا على التقليد الذي اضعف عقولنا لهدم الاستقلال في استمالة واضف رابطننا الدينية ووحدة العامة

ومنها غير ذلك من الاسباب الاجتماعية والسياسية والدينية التي بحثنا فيها من قبل وبحث

غيرنا من الناس كثيراً، ونأهيك بما جمع من تلك الابحاث في سجل جمية أم القرى وغرضنا من هذه الامثلة ان نبين ان ما ينه من ضرر اختلاف الامة في دينها وتفرقتها الى مذاهب وكونه من اسباب ضعفها لا ينفي ما جاء في مجلة (دين ومعيشت) من ضرر العصبية الجنسية وحب الرياسة وكونها من اسباب ضعف المسلمين، ونحن لم نحصر جميع الحروب والفتن بين المسلمين في الاختلاف والتقليد كما حصرها أصحاب تلك الجهة في التعصب للجنسية والقومية ( وهم يبرون عن ذلك بليلية كالترك والفرس فقد استعملوا اللمة بغير معناها الشرعي والنوي ) وفي حب الرياسة .

(٢) أخطأت اختنا مجلة دين ومعيشت فيما ذكرته من الشواهد التي استدلت بها على ما ذهب اليه . أخطأت في قولها ان الخلاف الضار والتفاد حدث في الامة قبل التشيع والصواب ان التشيع حدث في القرن الأول ، وأخطأت في قولها ان العصبية الجنسية هي التي كانت سبب الحروب بين المسلمين في القرون الأولى وأنه لم يكن للتشيع والمذاهب أدنى تأثير فيها ، والصواب ان اسم العصبية الجنسية والقومية لم يسر في المسلمين في تلك القرون سريانا قويا يؤثر فيها . وقد كنا ينسا ما فعله بزنادقة الفرس بسائق هذه العصبية من الافساد في الاسلام ومحاوله رد أهله عنه وازلة ملكه ، وكونهم ألبسوا ذلك لباس الدين وبنوه في شبهة علي واذائه آل بيت الرسول عليهم السلام ، التي تفضلهم على بني أمية الباغين الجائرين ، وكانت هذه الشبهة مؤلفة من خيار المؤمنين ، فسرى بسد ذلك الى عامتها الغافلة ، بعض دسائس أوائل الزنادقة ، وما أحدثوا من تسالم الباطنية الكفرية ، ولكن المسلمين الصادقين من العرب والمعجم لم يفتنوا لدسائسهم ، وظلت اخوة الاسلام جامعة بينهم ، لا يستنقل هربي إمارة عجمي ولا مشيخته ، ولا عجمي إمارة عربي ولا مشيخته ، وكانوا كلهم يتعاونون على تقدم وضعه الزنادقة من الأحاديث وما بنوه من البدع وروجوه بزعمهم انه مذهب شبهة آل البيت الطاهرين وقد كانت الحروب والفتن التي اتارها الباطنية من القرامطة والاسماعيلية وغيرهم تشب نيرانها باختلاف التسالم الدينية لا باختلاف الجنسية والقومية . والصيديون ما استولوا على مصر واسموا ملكهم باسم الجنسية بل باسم المذهب ، وما ازال ملكهم صلاح الدين الأيوبي بالمصيبة الجنسية

والقومية بل بعصية المذهب ، ولم يكن احد من العرب يكره حكم نور الدين التركي ، ولا صلاح الدين الكردي ، ولا يخطر في باله أنه من غير قومه ، بل لا يزال العرب يمدونهما خبز خلف للاخفاء الراشدين

نعم ان فتنة العصية الجنسية الجاهلية قد أضرت بالدولة العثمانية كما بينا ذلك مرارا بالقد المر ومع هذا نقول على علم وخبر إن عرب اليمن وجوران لم يقاتلوا الدولة ولم يمصوها لا اختلاف الجنس والفنصر ، فاهل اليمن فهم بداهمون الدولة ومحاربونها عند ما تحاربهم لا اختلاف المذهب ولظلم رجال الدولة وفسادهم هناك كما اعترف كتاب الترك بذلك في جرائدهم في اثناء الفتنة الاخيرة في هذا العام ، ولم يكن العثمانيون هم البادئين في الحرب الاخيرة بل كان الامام يطلب الاتفاق مع الدولة . ومذهب الزيدية الذين جلى تلك الحروب معهم وجوب الخروج على اهل الجور وتناهم ، واما دروز جوران فهم على كونهم من الباطنية لم يمصوا الدولة لانها تركية وهم عرب ، والقتال بينهم وبين العرب الحاصل المجاورين لهم مستمر ، وانما تحرشت بهم الحكومة لتستريح من شقاوتهم وكتر اعتدائهم على من حولهم ، ولم يكن تحرشها بهم من حسن الادارة في شيء ، اذ كان يمكن إخضاعهم بحسن الصياحة كما يعرف الحبيرون من رجال الدولة ، وكذلك اخطأت في تلك الفتنة الشقاء في الشرك .

إنني أرى تأثير الاسلام في ازالة عصبية العرب القومية لا يزال أقوى من تأثيره في ازالة عصبية غيرهم من المسلمين ، فاهل جزيرة العرب الذين يروا من الدولة خيرا قطوأتما وأوامها الفارات الشعواء ، وسنك الدماء ، يودون لو يندونها بأرواحهم ويسمنون لو توفقي الى ادارة بلادهم باقامة حكم الشرع فيها ، مع كونهم لم يتمودوا الخضوع لسلطة غريب عنهم ، فهم من أعرق اهل الارض في الاستقلال ، ولو كان اهل اليمن يكرهون سلطة الترك لاجل العصبية الجنسية لخرجوا عليهم في هذا الوقت الذي لا تستطيع الدولة أن ترسل فيه اليهم جندا ، ولكنهم في هذا الوقت عرضوا أنفسهم واستمدوا لبذل أرواحهم في الحرب مع الدولة وانهم ما فعلوا ، كما يبذل عرب طرابلس الغرب أرواحهم ليظلوا تابعين لهذه الدولة التي لم يروا منها خيرا قط ، وما ذلك الا لأن رابطة الاسلام فيهم أقوى من رابطة الجنسية والقومية .

نعم ان الارتباط يطلبون ما يطلبون باسم العصية القومية وما ألتأهم الي ذلك الا سوه ضيافة المنفرنجين في الاستانة الذين يجارلون تتركهم بالقوة القاهرة ، ولو جروا معهم على سنة الاسلام لا كان للعصية الجنسية أثر يذكر فيهم

(٣) أخطأت رصيفتا أيضا فيما اشارت اليه من سبب اختلال الانكليز لمصر كما اخطأت في قولها عن صاحب المنار انه ولد في مصر وترى فيها ، كما قلنا في أول هذا الرد ، وزيد هنا ان زمن وجودنا بمصر هو اربع عشرة سنة كسر المنار وزيد أشهراً . وانه لم تكن العصية الجنسية ولا حب الرياسة سبب دخول الانكليز في مصر وانما سببه سوء ادارة اسماعيل باشا وضمف توفيق باشا ، فالاول اغرق البلاد بالديون وجعل انكارة وفرنسة رقيتين على حكومته ، حتى أدى ذلك الى خلمه ، والثاني أحدث حركة عسكرية ليتخلص بها من وزارة رياض باشا ولم يستطع تسكينها فاستعان بالانكليز عليها ، وليس هذا محل شرح ذلك ، افرأيت أيها الرصفاء كيف تنوب احكامكم على اسس من الرمل لا تمسك بناء ولا تحقق رجاء

وبعد هذه الاشارة الوجيزة والتذكرة المختصرة ، أقول اني صرحت في الكلام على ذلك الحديث بعد بيان انه لا يصح بأن أهون الاختلاف الامة اختلاف السلف في فهم أحكام الدين ومنهم علماء الامصار كافة الفقه المشهورين أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد وغيرهم (رحمهم الله تعالى ورضي عنهم) وقلت ان مثل هذا الاختلاف طبعي لا ضرر فيه ، ثم بنيت ان ضرر الاختلاف في الدين قد نجح في دور التشيع والتصب وكان من اسباب ضمف الأمة الذي فرق شعابها حتى صارت الى ما نحن فيه ، ولم اقل ان الضمف وزوال الممالك لا سبب له إلا الاختلاف والتشيع ، على ان من يقول هذا لا يعجزه ان يستدل عليه ، وبيان ذلك حتى يصب المراء الظاهر فيه يطول ، وليس هذا محل التطويل ، وانما هو محل التذكير ، فنذكر اخواتنا الفاضلات أصحاب تلك المجلة وغيرهم من القراء ببعض المسائل في ذلك فنقول

ان كتاب الله تعالى قد بين في آيات كثيرة ضرر الاختلاف والتفرق ولا سيما في الدين وتوعد على هذا بمنزل ما يتوعد على الكفر حتى صرح بان الذين يكونون شيئا وفرقا في الدين هم برآء من النبي (ص) وقد بينا هذا صراوا في التفسير وغير التفسير تارات بالاطناب وتارات بالايجاز

ان النبي صلى الله عليه وسلم بين مثل ذلك في قوله وعمله حتى لم يكن يفضب لشيء كما يفضب اذا رأى الاختلاف بين أصحابه قد أنفنى او كاد يفضي الى التفرق واتصار كل طائفة لرأي والتقول في هذا كثيرة وفيما يقابله من الاصر بالاتفاق والاعتصام كثيرة جدا

ان السلف الصالحين كانوا يتحرون هذا الهدي الالهي النبوي ويحذرون من

افضاء الخلاف في الفهم وهو طبيعي لا مندوحة عنه الى التفرق والتشيع المخطور حتى ان الشافعي ترك القنوت في الصبح عند ماصلي في مسجد أبي حنيفة مع أصحابه ينداد ورأى ان ترك سنة غير مجمع عليها حرة (لو أكثر) أهون من مخالفة جماعة من المسلمين اذ اهم اجتهادهم الى عدم سنيها. وقد خفي هذا على من عاين ذلك بأنه ترك القنوت تأديبا مع أبي حنيفة وهو في قبره اذ لا يعقل ان يترك مثل الشافعي سنة الرسول تأديبا مع احد من الناس، وخفي ايضا على من زعم ان اجتهاده في المسألة تغير في ذلك الوقت ثم عاد، وهذا بعيد أيضا كهد الأرض عن الدماء، واما ما قلناه فهو معهود من السلف، يترك الواحد اجتهاده والمثل بثقه في مثل هذه التدوينات ليوافق الجماعة الذين خالف اجتهادهم اجتهاده فيه اذا كان عمله به يظهر به الاختلاف والتفرق كانتوت وتكبيرات صلاة العيد، والا عمل كل باجتهاد نفسه وعذرا لا آخر في اجتهاده. ومن هذا الباب جواب الامام احمد لمن سأله أصلي وراء من لم يتوضأ من خروج الدم وكان يرى الوضوء منه قبله فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل تصلي خلفه؟ فقال كيف لا أصلي خلف الامام مالك وسعيد بن المسيب. وكان مالك قد اتفق هارون الرشيد بأنه لا وضوء عليه اذا هو احتجم فصلي يوما بعد الحجامة وصلي خلفه ابو يوسف ولم بعد الصلاة. وقال بعض الفقهاء ان من علم أن الامام خالف له في اجتهاده أو تقليده في مثل ذلك لا يصلي خلفه، وجملوا المسألة خلافة وصوروها بقولهم هل العبدة برأي الامام أم برأي المأموم؟ وفرقوا بين المؤمنين في ذلك وغيره حتى أنهم صاروا يعتقدون في بيت الله تعالى بمكة وفي سائر المساجد عدة جماعات في وقت واحد، ولا يرون في هذا بأسا وان خالفوا السنة وعمل السلف لأجل جمع ائمة الصلوات بالرواتب الموقوفة عليهم

يري أصحاب مجلة (دين ومعيشت) ان هذا الخلاف والتفرق لا ضرر فيه، وانه لم يترتب عليه حرب ولا عداة، ولم ينكره أحد من العلماء في كل هذه الاعصار، وكتب التاريخ ومصنفات أشهر علماء الاسلام الاعلام رد رأيهم هذا وتقتضيه عروة عروة

لا يخاري أحد نيا جرى بين المسلمين من الفتن والحروب باختلاف أهل السنة مع الخوارج والشيعة ومنها فتنة ابن العلقمي المشهورة، وآخرها ماجرى بين العثمانيين مع شيعة إيران الامامية ومع شيعة اليمن الزيدية، فلا نخوض في هذا بل نشير الآن الى بعض الفتن التي شهت التاريخ باختلاف أهل المذاهب الفقهية الحنيفة والشافعية

والحنبلية ، ومن أخذ مثل تاريخ الكامل لابن الأثير وتصفح فهرسه يستخرج من كل مجلد عدة قن ولا سيما في بغداد

أثبت لنا التاريخ أن إغارة التار على المسلمين قد كانت أول مزلزل لقوتهم وخاضد لشوكتهم ، وأنه كان للعداوة بين الشافعية والحنفية يد في إغراء التار الوثنيين بالمسلمين وتكليفهم بهم ، وكانوا قد كادوا يعودون أدراجهم ، بعد أخضاعهم الإطاحم وأخذ البلاد منهم ، وموت ملكهم وقائدهم جنكيزخان ، وعجزهم عن قمع أصهبان الإسلامية . قال ابن أبي الحديد في ( ص ٣٢٩ ) من الجزء الثاني من شرحه على نهج البلاغة :

( المطبوع بمصر ) ما نصه

« ورجع جنكيزخان الى ما وراء النهر وتوفي هناك ، وقام بعده ابنه قآن مقامه ، وثبت جرماغون في مكانه بأذربيجان ، ولم يبق لهم الا أصهبان ، فانهم نزلوا عليها مراراً في سنة ٦٢٧ وحاربهم أهلها وقتل من الفريقين متعة عظيمة ولم يلقوا منها غرضاً ، حتى اختلف أهل أصهبان في سنة ٦٣٣ وهم طائفتان حنفية وشافعية وبينهم حروب متصلة ، وعصية فاهرة ، فخرج قوم من أصحاب الشافعي الى من يجاورهم ويتاخمهم من ممالك التار فقالوا لهم أقصدوا البلد حتى نسله اليكم . فنقل ذلك الى قآن بن جنكيزخان بعد وفاة أبيه والملك يومئذ مشوط بتديره ، فأرسل جيوشاً من المدينة المستجدة التي بنوها وسموها « قراحر قم » فعبرت جيحون منبرية وانضم اليها قوم من ارسله جرماغون على هيئة المدد لهم ، فنزلوا أصهبان في سنة ٦٣٤ المذكورة وحاصروها . فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة حتى قتل كثير منهم ، وفتحت ابواب المدينة فتحها الشافعية على عهد بينهم وبين التار أن يقتلوا الحنفية ، وينسوا عن الشافعية ، فلما دخلوا البلد بدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلاً ذريعاً ولم يبقوا مع العهد الذي عهدوه لهم ، ثم قتلوا الحنفية ، ثم قتلوا سائر الناس ، وسبوا النساء وشقوا بطون الجبالى ، ونهبوا الاموال وصادروا الاغنياء ، ثم اضرمو النار فأحرقوا أصهبان حتى صارت تولا من رماد » اهـ

ومن نتائج الخلاف بين الشافعية والحنفية ما ذكره المؤرخون في خبر انتقال ابن السمانى من مذهب ابي حنيفة الى مذهب الشافعي وما جرى من التعصب والمطاحن والفتن حتى ان ابن السبكي لم يستح من نقل الرأى التي قدمت ذلك ومنها انه لما اختلف في ذهنه تقليد الشافعي وتردد فيه رأى رب العزة جل جلاله في النوم فقال له « عد آيتاً المنقهر » قال فانتهت وعلمت انه يريد مذهب الشافعي فرجعت اليه !!

فهذا العالم العلامة من المقلدين الذي قالوا عنه انه شافعي وقته قد فهم من الرؤيا التي وآها ان الله تعالى يريد بقوله له «عد اليها» الرجوع عن مذهب ابي حنيفة الذي مكث ثلاثين سنة يناظر علماء الشافعية في ترجيحه على مذهبهم ويتقلد مذهب الشافعي الذي كان يجهد تلك المدة كلها في ابطال ما خالف الحنفية منه . ويؤخذ من هذا الفهم انه كان يرى ان مذهب ابي حنيفة بعيداً عن الله وعن مرضاته كأنه ليس من دينه في شيء ، اي كان هذا منه وهو متقلده ، ولماذا لم يفهم من العودة الى الله العودة الى أصل دينه من كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، من غير شوب لهما بظنون الحنفية والشافعية جميعاً ؟

المراد من الإشارة الى هذه الواقعة من وقائع تعصبات المذاهب وتفرقتها بين المسلمين هو بيان ان كبار المقلدين كانوا يهربون عن المخالفين لهم في المذهب بمثل ما يهربون به عن المخالفين لهم في اصل الدين وان لم يصرحوا بتكفيرهم بلفظ الكفر والردة ، ومن ذلك قول بعض الحنفية انه يجوز للحنفي ان يتزوج البنت الشافعية قياساً على الذمية !! بل غلا بعضهم وصرح بالتكفير . ولا يزال هذا التعصب شديداً في بعض بلاد الامم كهند وغيرها على ضفت المذاهب كلها ، ولا تخلو البلاد العربية من نزعات في ذلك ، فقد قال أحد من فقهاء الحنفية في طرابلس الشام في درسه مرة انه لا يصلي خلف امام شافعي لان الشافعية يشكون في إيمانهم ( أي ان علماءهم اجازوا ان يقول المؤمن انا مؤمن ان شاء الله ) فذهب بعض الشافعية الى المفتي وقال له اقسم المساجد بيننا وبين الحنفية ، فانهر المفتي ذلك الحنفي وأطفاً الفتنة . ولعل مصر الآن اشد بلاد الاسلام تساهلاً وأقلها تعصبا في ذلك

تقول حجة ( دين ومعيشة ) إن العلماء قد أفرأوا خلاف المذاهب الموروثة وعوده رحمة كما ورد في الحديث فلم ينكره أحد ، وهذا غير صحيح فان العلماء التابعين المستقلين قد أنكروا ذلك في كل عصر وحنوا المسلمين على هداية الكتاب والسنة . وترى في هذا الجزء كلاماً فقيه شافعي مستقل في ذلك ، ولكن ضاع أكثر أقوالهم في الجماهير التي غلب عليها الجهل ، والمشتغلين بمداورة هذه المذاهب لأجل الأوقاف التي حبست على القسرين اليها والمناصب التي ينحصر بها الملوك والامراء ، فلولاً الامراء والسلاطين والأوقاف التي وقفوها على المشتغلين بهذه المذاهب لاندرست كما اندرس غيرها ، بل لما وجدت بهذه الصفة ، وإنما كان يحفظ منها مثل ما حفظ من مذهب الثوري والاوزاعي وأضرابهم وهو اقبال الأئمة ودلائلهم تذكر في شروح الحديث وكتب الفقه التي لا تميز فيها الى

تة، ولا افتراق فيها بين جماعة المسلمين، وهؤلاء المقدمون للمذاهب المتصوبون لما لا جل ما ذكر لا يمدون من العلماء حقيقة وان عدوا منهم عرفاء، وكان السلف يعبرون عن التقدير بالجاهل مهما اشتغل بالعلم، وعن المجتهد بالعلم، وتري مثل هذا في الهداية وشروحاها من كتب الحنفية في أحكام القضاء والافتاء، على ان مقلي كل مذهب انكروا مسائل الخلاف في غير مذهبهم فكان لنا من مجموع أقوالهم انكار جميع ما اختلف فيه، ولا يمكن الترجيح بينهم الا بالرجوع الى الاصل الذي امرنا الله به في قوله « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » كما كان يفعل السلف الصالح رضي الله عنهم

كان المسلمون في خير القرون أمة واحدة، وكان العلماء منهم أدلاء وثقة لدين الله لا بدون ظن احد منهم (احتجاده) في المسائل ليتخذ ديننا يدعى اليه ويلتزم دون غيره، وكان سبب انتشار هذه المذاهب تعيين الحكام من أهلها، ثم اتى الملوك والأمراء اليها، فلو بقيت دولة العبيد في مصر لصار جميع أهلها او اكثرهم شيعة ثم باطنية، ولولا تعقب السلطان صلاح الدين لمذهبهم وتعدهم واستبدالى مذهب الشافعية وكذا المالكية به لما صار اكثر أهل مصر شافعية والكثير منهم مالكية كما بين ذلك القريري في خطبه، ولولا استيلاء الأتراك واسرة محمد علي باشا على مصر وهم حنفية وجعلهم القضاة والحكام من أهل مذهبهم لما كثرت علماء الحنفية في الأزهر وانتشر مذهبهم في هذه البلاد. فلولا الدنيا ومناصب الدنيا ومتاع الدنيا وزينة الدنيا وجاه الدنيا التي قررت هذا الخلاف بين المسلمين وحفظته ونصرتة كما بين ذلك الامام الفزالي في كتاب العلم من الربع الاول من احياء علوم الدين، وحسبك ان تراجع منه الباب الرابع الذي عقده لبيان « اقبال الخلق على علم الخلاف » فإنه صرح فيه بنحو ما ذكرناه آنفا وبينه كما بينه غيره من العلماء والمؤرخين

وما زال علماء الدنيا - او علماء السوء كما يقول الفزالي - يؤيدون الحكام الظالمين في كل حين لاجل المال والجاه، بل يؤيدون غير المسلمين أيضا كما كان بعض علماء مصر يفتنون المسلمين بوجود الخوض لفريسة عند ما استولت على مصر جيش بونايرت، يفعلون ذلك باسم الاسلام، فلا عجب اذا أيدوا كل حكومة منسوبة الى الاسلام مهما كانت جائرة ومهما كان مذهبها في الاصول او الفروع، وقد وجد من أصحاب العمائم في مصر من انشأ في هذا العصر مسجدا في مصر باسم ملك ايطالية الكاثوليكي ووقفه على روحه ليكون له ثواب الصلاة فيه. وهذا المصمم الذي يمد من طائفة العلماء وشيوخ التصوف هو ابن الشيخ عليش الذي كان يمدح علماء الأزهر وامسهم

تعددا في الدين ، وكان من هذا الحزبي ان اسم الشيخ عيش وشهرته مما استنانت  
به إبطالية على اخذ ملكة طرابلس الثرب وبرقة من الدولة الاسلامية ، كل ذلك  
لاجل عرض قليل وحطام حطير يستفيدة من فضلات وكالة إبطالية السياسية بمصر ،  
فهل يستقرب مع هذا ما قاله الفزالي والمقرزي وغيرهما عن المتقدمين في سبب التصيب  
للمذاهب واهرها ، وهو انه طلب المال والجاه والتمتع بالاوقاف والمناصب ؟ أم  
يستقرب ما كان يكتبه الشيوخ الدجالون من عيب الدنيا في مدح السلطان عبد الحميد  
مدمر الدولة العثمانية ، ومذل الأمة الاسلامية ، من المذائح فيه ، وتكفير الخائفين له ،  
كقول الشيخ يوسف النبهاني في ذيل قصيدة له في مدحه ومدح كاتبه عزت باشا  
العابد انه يتقرب الى الله بحبته وموالاة من والاه وساداه من عاداه قال « وذلك لازم  
لنكل مسلم وان عكسه من اكبر الكبائر واعظم الذنوب الموجهات لسخط الحق  
صبحانه بل ربما ادى ذلك الى الكفر » ثم ذكر ان الذين عادوه يعني احرار الثمانين  
طلاب اصلاح الدولة « قد عصوا الله ورسوله واسخطوا جميع المؤمنين واستحقوا  
لضه الله وغضبه في كل حين » وذكر في تلك القصيدة ان عبد الحميد جدد الدين والدولة  
وانه لا يوجد له مثل في الارض ولكن عسى ان يوجد له مثل فوق السموات ، والقصيدة  
مطبوعة ، فهل يمكن المستبين من اهلاك المسامحين الا امثال هؤلاء المقلدين الجاهلين الطامعين  
في الاموال والمناصب ، بمنوان هذه المذاهب ، واذا كان الامر كذلك فاي رحمة انا نادها  
المسلمون من اختلاف اولئك المقلدين المتعصبين غير تلك الاموال والمناصب التي تجمع بها  
اولئك الملقون بين المسلمين باسم المذاهب ، وائمة المذاهب برآء من ذلك ومن الرضى به  
وجهة القول ان حديث « اختلاف امتي رحمة » لا اصل له كما صرح بذلك  
غير واحد من ائمة الحديث ، وذكر الخطابي له في عرض كلامه لا يثبت ان له اصلا  
عنده ولكن قد يشر بذلك كما قال السخاوي ، ووجود اصل له لا يستلزم صحته  
ولا حسنه وهو لا يعرف له سند ، ومعناه كلفظه لا يصح ولا يثبت بل الثابت في  
كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وسيرة السلف وفي الواقع ونفس الامر ان  
الاختلاف قد ادى الى التفرق والعداوة والبغضاء فكان من اسباب ضيف المسلمين وتمزقهم  
كل بمزق ، فهم للتصيب للمذاهب قد اضغفوا وحدثهم واضغفوا استقلال عقولهم فلما  
ارقت الامم باستقلال العقل في قنون العلم وما يرتب عليه من الاعمال علوهم وسلبوا ملكهم  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لتسون صفوفكم او ليخالفن الله بين  
وجوهكم ( متفق عليه في الصحاح والسنن كلها ) وفي رواية ابي داود « او ليخالفن

الله بن قلوبكم « وفسرت الوجوه في رواية الجمهور بالقلوب كما فسره به « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض » قال النووي في شرح الحديث معناه يفتح بينكم العداوة والبغضاء ، وقال القرطبي معناه تفرقون فإخذ كل واحد وجهها غير الذي يأخذه صاحبه . ولا يفقه هذه الحكمة النبوية الا العليم بصفات الانفس البشرية واخلاقها ونظام الاجتماع الانساني . ومن سنن الله في ذلك ان ما يفتق فيه الافراد من الاعمال الظاهرة المشتركة بينهم يكون سببا لاختلافهم واتفاقهم ووحدهم ، والصد بالصد ، ولذلك تتحرى الامم المرتقية في العلم والنظام ان تربى افرادها على نظام واحد في الاعمال الظاهرة وان تنشر عاداتها في الامم الاخرى لتجذب بها قلوبها اليها وقد اوضحنا هذا المعنى في مقالاتنا ( المسلمون والقبط ) فليرجع اليها

يا سبحان الله « ان رسولنا (ص) لم يسمح لنا ان نختلف افرادنا في صف الصلاة فيقدم بعضهم على بعض واقدم على ان ذلك يكون سبب اختلاف قلوبنا ووقوع التفرق بيننا ، ثم نحن نحجز لانفسنا ان نقيم في المسجد عدة جماعات في وقت واحد لاختلاف المذاهب وان هذا رحمة بنا ونحن نشمر في انفسنا بان ذلك يعدد بعضنا عن بعض ولا نشك في ذلك ، ونحجز لها غير ذلك من انواع الخلاف في حيات الصلاة وغير الصلاة ، والتاريخ دون لنا ما ترتب على ذلك من الفتن والفساد

لو شئت ان أنقل بعض ما أعلم من وقائع الفتن والعداوة بين اهل المذاهب لجئت بالفصائح ، وكل ذلك قد جرى باسم الانتصار لائمة العلم والفقه وما هو الا انتصار للاهواء كما قال الفزاري لا شيء منه يوافق اصول اولئك الائمة ولا سيرتهم الشريفة ، بل يقل ان يوجد من مدعي اتباعهم من يعرف حقيقة ما كانوا عليه ، وانما يتبع اهل كل عصر علماء عصرهم الذين اشرنا الى حالتهم لتقم بهم . وان كانوا جاهلين حتى بالمذاهب التي جعلوها حرقهم وسبب رزقهم ، وهؤلاء القادة الجاهلون هم الذين منعوا المسلمين من اسباب الترقى المالي والعلمي والصناعي فضاعت بلادهم .

منشأ عصبية التقليد الثقة واكبر مفسده ان تكون بهذه الثقة مذاهب مبتدعة وطرقهم بل مذاهب الكفر والزندقه باسم الاسلام كمذاهب الباطنية ، فالبكداشية يدعون الان في بلاد الترك والارنوط بالالايين ويقولون انهم من المسلمين ، وما كان الاخذون يعلم (الفضل الحروفي) من المسلمين في شيء ، افرأيت لو لم توجد بدعة التشيع أوالتصويب من كل طائفة لتعلم مدين هل كان وجد هذا الضلال ، ارايت لو ان المسلمين يعملون في كل عصر وكل مكان بقوله تعالى « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول . اني

كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذاك خير واحسن تأويلاً « هل كان وجد هذا التفريق والتعزق والانهلال ?? لا لا وانما وجد بالقييد لان كل طائفة وثقت برؤسائها فاتبعهم بغير دليل . وسنزيد هذا بياناً في وقت آخر ان شاء الله تعالى

( باب الاخبار التاريخية والآراء )

## محاربة " ايطاليا " لطرابلس الغرب

نعني بطرابلس الغرب الاقليم الواقع بين القطر المصري والقطر التونسي ومنه برقه المبر عنها في عرف الدولة متصرفية بنغازي وهو ملكة كبيرة مساحتها اربع مائة ألف ميل او تزيد ، ولسكنها له وه الادارة والنظام والفوضى قد غلب عليها الخراب وقل فيها السكان ، فأهلها يقدرون بمايون ونصف يدخل في ذلك بدوهم مع حضرهم ، وموقع هذه المملكة البحري والتجاري عظيم وهي قابلة للممران والترقي ، وقد كنا نسمع منذ وعينا ان دولة ايطاليا طامعة فيها وكانت الحكومة الحميدية على سياستها قد غيّت بتعليم أهل طرابلس النظام العسكري فأنشأت فيها فرقاً من الفرسان « الأليات الحميدية » كما فعلت في بلاد الأكراد ، فقلنا يومئذ ان لسلطان عبد الحميد في هذه الدولة حسنتين : سكة الحديد الحجازية والأليات الحميدية . وقد اقترحنا على الدولة العلية منذ اكثر من عشر سنين ان نعلم التعليم العسكري في طرابلس الغرب وفي سائر البلاد العثمانية ونجعل فيها مستودعات للسلاح ليكون الاهالي مستعدين للدفاع عن انفسهم اذا فاجأهم الظالمون وتمذرعوا على الدولة ان تمدهم بالجند السكاني ، بل قلنا إن الظالمين اذا علموا أن أهل البلاد مستعدون للحرب والكفاح يحجمون عن مهاجمة البلاد لان أورة - ولا خوف الا منها - تؤثر الفتح السامي الذي لا يخسر فيه كثيراً من ابنائها واهوالها على الفتح الحربي

كانت نصائحنا كنهائج غيرنا تحمل على «مادة السلطان ولا يترتب عليها الا ايداء الناصح في نفسه او أهله وماله ، ثم زالت الحكومة الحميدية ، وحل محلها الحكومة الجديدة ، التي سيطرت عليها جمعية الأتحاد والترقي بقوة الجيش وديوان الحرب العرفي فكان حظ طرابلس الغرب في عهد هذه الحكومة شراً من حظها في زمن عبد الحميد ، فقد اضعفت وزارة حقي باشا حمايتها ، ومهدت السبيل لتفجير ايطاليا باحتلالها ، كما يعلم من التقرير الرسمي الذي قدمه بعض المبعوثين الى المجلس في طلب محاكمة حقي باشا